المنهج القرآني

بين النص والتطبيق

مقتبس من محاضرات

سماحة السيد مهدي الحسيني الشيرازي

إعداد ونشر
مؤسسة العقيلة الثقافية الخيرية
الجمهورية اليمنية

الطبعة الأولى

٢٠٢٦م – ١٤٤٧هـ

مؤسسة العقيلة الثقافية الخيرية

تلفون: +967779018414

البريد الإلكتروني:
alaqeelafoundation@gmail.com

قال تعالى:

إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً

صدق الله العلي العظيم

سورة الإسراء ٩

كلمة الناشر

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ، وجعله نوراً وهداية، ودستوراً للحياة، وميثاقاً للنجاة، وشفاءً لما في الصدور.

تتشرف مؤسسة العقيلة الثقافية الخيرية بجمع وتبويب هذا الكتاب القيّم من مختلف محاضرات سماحة السيد مهدي الحسيني الشيرازي (دامت بركاته)، مع بعض الإضافات، وهو يسلط الضوء على أهمية القرآن الكريم في حياة الفرد والأمة، ويبين كيف يمكن أن يكون القرآن منهجاً عملياً شاملاً يعالج مشكلات البشرية ويعيد للأمة عزتها وكرامتها.

إن هذا الكتاب لا يقتصر على بيان فضل التلاوة والحفظ، بل يتجاوز ذلك إلى التدبر والتطبيق العملي، وإحياء الآيات الحيوية التي تكاد تكون منسية في واقع الأمة. وهو دعوة صادقة إلى جعل القرآن إماماً وقائداً في كل صغيرة وكبيرة من حياتنا.

نسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به المؤمنين، ويجعل القرآن نوراً يضيء دروبهم، ودستوراً ينهض بأمتهم.

مؤسسة العقيلة الثقافية الخيرية

اليمن

الفهرس

كلمة الناشر 4

أهمية القرآن في حياتنا ٧

حفظ القرآن الكريم وتلاوته ١١

قصة الصياد وحافظ القرآن في الصحراء..... ١٣

الفضيل بن عياض وتأثره بآية قرآنية..... ١٦

الآيات الحيوية المنسيّة في واقع الأمة ١٧

تحريف القرآن الكريم ٢٠

من إعجاز القرآن ٢٢

كيف نعمل بالقرآن؟ ٢٤

النسيج الفريد للقرآن الكريم ٢٧

التحذير من التفسير بالرأي ٢٨

أهل البيت (عليهم السلام) الورثة الحقيقيون لعلم الكتاب ٣٠

لماذا لم تصلنا كل العلوم؟..... ٣١

مظاهر التعامل مع القرآن وحقيقة العمل به..... ٣٣

دور القصص في القرآن وأثرها في تربية الإنسان ٣٥

أهمية القرآن في حياتنا

يقول الله العظيم في محكم كتابه الكريم: ﴿**إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً**﴾.([1])

ويقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): **إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، وهو كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني في عترتي.**([2])

ويقول (صلى الله عليه وآله وسلم): **"إن أهل القرآن في أعلا درجة من العليين ما خلا النبيين والمرسلين فلا تستضعفوا أهل القرآن حقوقهم فإن لهم من العزيز الجبار لمكانا".**([3]) وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): **يا سلمان عليك بقراءة القرآن فإن قراءته كفارة للذنوب.. وتنزل على صاحبه الرحمة.**([4])

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): **لقاح الإيمان تلاوة القرآن.**([5]) أي كما أن اللقاح يثمر النبات فكذلك التلاوة تثمر الإيمان في القلب. وقال (عليه السلام) أيضاً في خطبة له : **وتعلموا القرآن فانه احسن الحديث وتفقهوا فيه فانه ربيع القلوب، واستشفوا بنوره فانه شفاء الصدور، وأحسنوا تلاوته فإنه**

---

[1] - سورة الإسراء: 9
[2] - الطرائف: ج١ ص١١٥ حديث الثقلين ح١٧٥.
[3] - الكافي: ج٢ ص٦٠٣ باب فضل حامل القرآن ح١.
[4] - مستدرك الوسائل: ج٤ ص٢٥٧ ب١٠ ح٤٦٣٧.
[5] - غرر الحكم ودرر الكلم: ص١١٢ ق١ ب٤ ف٤ ح١٩٩٢.

أنفع القصص فان العالم العامل بغير علمه كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق من جهله، بل الحجة عليه أعظم، والحسرة له ألزم، وهو عند الله ألوم.[6]

فللقرآن الكريم أهمية بالغة في الدين الإسلامي وفي نفوس المسلمين؛ فهذا القرآن تطبيقه يضمن السعادة الأبدية لجميع البشرية في الدنيا والآخرة. أليس هو النور الذي يُضاء به في ظلمات الجهل، والشفاء الذي تُداوى به أمراض القلوب من الحسد والكبر والرياء؟ أليس هو الميثاق الذي إن تمسك به العبد نجا، وإن أعرض عنه هوى وتردى؟

فهو ليس مجرد كلمات تُتلى على الأموات، ولا هو كتاب بركة فقط يُوضع على الرفوف، بل هو دستور حياة متكامل، ومنهاج رباني يحل كل مشكلات البشرية: الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والنفسية.

فلو طبق المسلمون أحكامه في التعامل بالربا والظلم والغش، لانتهى الفقر والاستغلال. ولو طبقوا قوله تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا**﴾[7]، لزال التشرذم والضعف. ولو طبقوا قوله: ﴿**لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ**﴾[8]، لعمَّ الاحترام والمحبة بين الناس. ولو أن الناس جميعاً طبقوا آيات القرآن الكريم، لعمَّ الخير والبركة والنعيم العالم أجمع، ولانتشر الأمن والأمان في كل بقعة، واستقرت العدالة بين العباد، ولم يبقَ جائع ولا خائف ولا مظلوم.

---

[6] - نهج البلاغة الخطبة ١١٠ المقطع ٦، وبحار الأنوار: ج٢ ص٣٦ ب٩ ح٤٥.
[7] - سورة آل عمران ١٠٣
[8] - سورة الحجرات ١١

ذلك لأن القرآن دستور إلهي لو طُبِّق بحذافيره، لتحولت الأرض إلى جنة يعيش فيها الإنسان في سلام وطمأنينة.

فمن الضروري أن يقرأ المؤمن القرآن يومياً بتفهم وتدبر، ويحاول أن يعمل بمقدار ما قرأ، ولو آية واحدة. عن حريز عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال**"القرآن عهد الله إلى خلقه، فقد ينبغي للمرء المسلم أن ينظر في عهده وأن يقرأ منه في كل يوم خمسين آية".**[9]

فاجعل لنفسك ورداً يومياً ثابتاً، واجمع بين التلاوة والتدبر والتطبيق.

فمثلاً: إذا قرأت ﴿**وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ**﴾[10]، فطبّقها بتجنب معصية صغيرة كنت تفعلها. وإن قرأت ﴿**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ**﴾[11]، فاحفظ بصرك في ذلك اليوم. وسر التغيير أن الله تعالى يقول: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾[12]، وتلاوة القرآن اليومية هي أقوى وسيلة لتغيير ما بالنفس. فمن واظب عليها بخشوع، رأى همومه تتبدل سكينة وضيقته تتبدل فرجاً.

جرب وسترى: اقرأ صفحة واحدة كل يوم بتدبر، وحاول أن تعمل بها ولو قليلاً، وبعد شهر قارن بين حالتك النفسية قبل وبعد، ولن تشك أن القرآن هو

---

9 - الكافي: ج٢ باب من قراءة القرآن ح١.
10 - سورة البقرة ٤٠
11 - سورة النور ٣٠
12 - سورة الرعد ١١

الدواء الناجع. ولا تيأس إن قصرت يوماً، بل عد فوراً؛ فالعمل القليل المستمر خير من الكثير المنقطع، وقد ورد عن أبي جعفر (عليه السلام) أنه قال: **"أَحَبُ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ الْعَبْدُ وَ إِنْ قَلَّ"**.[13]

فلنعقد العزم اليوم، من هذه اللحظة، على أن نجعل القرآن إمامنا وقائدنا في كل صغيرة وكبيرة، وأن ننظر في عهده كل يوم لكي ننعم بخير الدنيا والآخرة.

[13] - الكافي ج٢ ص٨٢

حفظ القرآن الكريم وتلاوته

لا ريب أن حفظ القرآن الكريم وتلاوته اليومية من أعظم القربات وأجل الطاعات التي يتقرب بها العبد إلى ربه. فقد ورد عن الفضيل بن يسار، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): **تعلموا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة صاحبه في صورة شاب جميل شاحب اللون فيقول له: أنا القرآن الذي كنت أسهرت ليلك وأظمأت هواجرك وأجففت ريقك وأسبلت دمعتك،** [إلى أن قال:] **فأبشر، فيؤتى بتاج فيوضع على رأسه ويعطى الأمان بيمنه والخلد في الجنان بيساره ويكسى حلتين، ثم يقال له: اقرأ وارقأ، فكلما قرأ آية صعد درجة، ويكسى أبواه حلتين إن كانا مؤمنين، ثم يقال لهما: هذا لما علمتماه القرآن.**([14]) فيكون حفظه للقرآن سبباً لرفعته في الدرجات العلا، وكلما ازداد حفظه وترسخت آياته في صدره ارتقى في مراتب الكمال والقرب من الله تعالى.

غير أن الحفظ والتلاوة ليسا غاية في حد ذاتهما، بل هما وسيلة ضرورية وشرط أساس لفهم كتاب الله تعالى والعمل بأحكامه وهداياته. فالحافظ للقرآن يحمل بين جنبيه نوراً إلهياً، فإن هو تدبره وعمل به كان من خيرة الخلق وأقربهم إلى الله تعالى، وإن اكتفى بحفظ اللفظ دون العمل بالمضمون فقد فاته المقصد الأسمى. ولذلك جاء التأكيد على أن حامل القرآن هو حامل راية

[14] - الكافي: ج٢ ص٦٠٣ باب فضل حامل القرآن ح٣.

الإسلام، ومن الواجب عليه أن يكون قدوة حسنة في تطبيق ما يحفظه من آيات الذكر الحكيم.

وإن مما يزيد القرآن رسوخاً في النفس، ويرتقي بالحافظ إلى مقام العاملين، محاولة ربط آياته الكريمة بالواقع اليومي المعاش. وهذا الأمر يستدعي من الحافظ والقارئ أمرين متلازمين:

الأول: مراجعة التفاسير المعتبرة لفهم المراد الإلهي فهماً صحيحاً.

الثاني: إعمال التدبر والتأمل في الآيات لاستلهام معانيها وتطبيقها في شؤون الحياة الفردية والاجتماعية.

فبهذا ينتقل القرآن من كونه مجرد كلمات محفوظة إلى كونه منهج حياة متكامل، وبهذا يحقق المؤمن الغاية العظمى من إنزال الكتاب.

قصة الصياد وحافظ القرآن في الصحراء

ومن عجيب ما يُروى في بيان بركة حفظ القرآن الكريم وأثره في حفظ الإنسان وصيانته، هذه القضية التي ينقلها المرحوم الجد آية الله العظمى السيد ميرزا مهدي الشيرازي (رحمة الله عليه)، المعروف بالقدس والورع والتقوى. أنا انقل القضية عن المرحوم الوالد (رحمة الله عليه)، وذكر أن المرحوم الجد حينما روى القضية لم يصرّح باسم صاحبها، بل قال: .رجلٌ كان...

يقول المرحوم الوالد (رحمة الله عليه): "وأنا أحتمل أن هذه القضية ترتبط بنفسه الشريفة، وأنه لم يذكر اسمه تواضعاً منه، أو لعامل آخر لا نعلمه".

وعلى كل حال، فإن القضية كما رواها المرحوم الجد هي: أن رجلاً كان يمشي في صحراء سامراء، فجاء صياد إلى تلك الصحراء ليصيد. ومن بعيد رأى شبحاً، فظنه حيواناً، وظنه

صيداً، غزالاً أو ما أشبه ذلك. فأخرج سلاحه ليرمي الصيد في زعمه، فكلما أراد اطلاق الرصاصة أو السهم لا يخرج من السلاح

فتعجب من ذلك! فحاول مرة ومرتين وثلاث مرات، فلم تخرج الطلقة. ثم غيّر وجه السلاح إلى الجانب الآخر فرمى، فخرجت الطلقة أو السهم. فتعجب! فتوجه نحو الشبح الذي ظنه صيداً وهو في الواقع إنسان، فرمى مرة ثانية فلم يرمِ، ومرة ثالثة توجه إلى اليسار فرمى، فخرج السهم أو الطلقة من السلاح الذي كان بيده. فاستغرب: ما شأن هذا الشبح؟ كلما أوجه السلاح نحوه لا أقدر أن أرميه، وأوجهه نحو زاوية أخرى أرمي بسهولة.

فاقترب واقترب واقترب، فوجده إنساناً يتمشى في الصحراء. فعرض عليه القضية، وقال له:

من أنت؟ أمن أولياء الله أنت؟ فإني كلما حاولت أن أرميك لم أستطع.

فقال له الرجل: لا أنا بشر عادي.

فسأله الصياد: فما شأنك إذن؟ وماذا تفعل؟

قال الرجل: أنا حافظ للقرآن الكريم، أحمل كتاب الله في صدري، وأتلوه وأردده على لساني.

فهنا تكمن العبرة والعظة إن القرآن الكريم يحفظ الإنسان، فالقرآن في الصدر، والقرآن على اللسان، والقرآن في العمل، هذا هو الذي يحفظ الإنسان ويصونه. فارتباط الإنسان بالقرآن عامل مهم، وسبب لتوفيقه، وسبب لنزول الرحمة الإلهية الخاصة عليه. وبالعكس، فإن إهمال القرآن والانقطاع عن تلاوته وتدبره سبب لسلب التوفيق والخذلان.

قصة رجل تأثر بآية قرآنية

ذكر في أحوال رجل أنه كان في بداية حياته من الأشرار، وكان مجرد ذكر اسمه كافياً لإثارة الرعب في القلوب، فقد كان يقطع الطريق على القوافل، ويسلب المسافرين كل ما يملكون من نقود وأمتعة، وفي أحد الأيام وقعت عينه على فتاة وأخذت بمجامع قلبه، فصمم في نفسه أمراً سيّئاً، وفي نفس تلك الليلة جاء يتسلق جدار ذلك البيت الذي تسكنه الفتاة، وهو ينوي الاعتداء عليها واغتصابها، وفي هذه الأثناء تناهى إلى مسامعه صوت والد البنت الذي كان قد قام في الليل للتهجد والعبادة يعلو صوته بتلاوة هذه الآية الكريمة: ﴿**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّـهِ**﴾[15].

فأخذ الرجل يتأمل في هذه الآية بضع ثوان، فهزته من الأعماق وأخذ يردد في نفسه ويتمتم: يارب بلى قد آن، ثم نزل من أعلى الجدار متذكراً تائباً، ورفع يده عن الظلم والاغتصاب والسرقة، وذهب باتجاه المسجد فاعتكف فيه.

أنظروا إلى هذا الفرد، ما إن تأمَّل في آيةٍ واحدة من كتاب ربه، حتى انقلبت حياته رأساً على عقب! ترك شرَّه إلى خير. فما بالك بعبدٍ أذنب ثم جعل همه تدبُّرَ القرآن كله؟ لعله حينها يصير من أولياء الله المقربين، وتشرق قلوبهم بنور ربهم.

[15] ـ سورة الحديد ١٦

الآيات الحيوية المنسيّة في واقع الأمة

إن من أهم آيات القرآن الكريم - وكل آياته عظيمة مهمة - طائفة من الآيات يمكن وصفها بأنها **"الآيات الحيوية"**. وخصوصية هذه الآيات أنها تمثل دستوراً متكاملاً لو عملت به الأمة الإسلامية، لأعاد إليها روح الحياة، ونفض عنها غبار الذل والهوان، وأعاد لها عزتها وكرامتها ومكانتها بين الأمم.

غير أن المؤسف حقاً أن هذه الآيات - على الرغم من محوريتها وأهميتها القصوى - تكاد تكون منسية في واقع المسلمين، أو مغيبة عن ساحة التطبيق العملي، مع أن فيها العلاج الناجع لكثير من أمراض الأمة وتخلفها. وهي تتمثل في خمس آيات كريمات تشكل منظومة متكاملة:

الأولى: آية الشورى، في قوله تعالى: ﴿**وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ**﴾.([16]) وهي التي تؤسس لمبدأ المشاركة وتبادل الرأي في إدارة شؤون الأمة، وترفض الاستبداد والتفرد بالقرار.

الثانية: آية التنافس في الخيرات، في قوله سبحانه: ﴿**وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ**﴾.([17]) وهي التي تحفز الهمم نحو معالي الأمور والتسابق في

[16] - سورة الشورى:38
[17] - سورة المطففين: 26

ميادين العلم والعمل الصالح، بدل التنافس المذموم على حطام الدنيا وزخارفها الفانية.

الثالثة: آية رفع الإصر والأغلال، في قوله عز وجل: ﴿**وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ**﴾.([18]) وهي التي تبشر بالتحرر من القيود الثقيلة والأثقال التي تكبل العقول والضمائر، وتمنع الأمة من الانطلاق في آفاق التقدم والرقي.

الرابعة: آية الأخوة الإسلامية، في قوله سبحانه: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾([19])، وهي التي ترسخ أواصر المحبة والولاء بين أبناء الأمة الواحدة، وتنهى عن الفرقة والتنازع والشقاق.

الخامسة: آية الأمة الواحدة، في قوله تبارك وتعالى: ﴿**إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**﴾([20])، وهي التي تجمع شتات المسلمين تحت راية التوحيد والانتماء الواحد، وتلغي الفوارق المصطنعة والعصبيات الجاهلية.

[18] - سورة الأعراف: 157
[19] - سورة الحجرات: 10
[20] - سورة الأنبياء: 92

إن النهوض بواقع الأمة وإعادة إحياء هذه الآيات في الوجدان الإسلامي يستدعي من أهل العلم والفكر - علماء الحوزات الشريفة وأساتذة الجامعات، ومن ورائهم الشباب الواعي والطلبة النجباء - أن يولوا هذه الآيات الخمس اهتماماً خاصاً. وذلك يكون عبر سبل متعددة، منها: ذكرها المستمر في المحافل والخطب والدروس، ونشر معانيها بين عامة الناس بأساليب عصرية مؤثرة، وتأليف الكتب والدراسات المتخصصة التي تستجلي أبعادها وتستنبط أحكامها، وعقد الندوات والمؤتمرات والجلسات الحوارية التي تتناول مضامينها وتستلهم منها سبل النهضة الحقيقية.

ففي إحياء هذه الآيات إحياء للأمة كلها، وفي إهمالها موت للحياة الإسلامية بمعناها الحضاري الشامل. نسأل الله تعالى أن يبصرنا بمعاني كتابه، وأن يرزقنا العمل بهذه الآيات وإحياءها في واقعنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

تحريف القرآن الكريم

إن القول بتحريف النص القرآني غير صحيح، لأن القرآن الكريم نزل على ثلاثة أوجه متكاملة: نزل نصاً، ونزل تفسيراً، ونزل تأويلاً. فجبريل الأمين (عليه السلام) حينما هبط بالوحي على قلب النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، أنزله نصاً لفظياً محكماً، وهذا النص تحديداً لم يطرأ عليه تغيير أو تبديل.

فالقرآن الموجود بين الدفتين اليوم هو ذاته النص المُنزل، لم يُزد فيه حرف ولم يُنقص منه حرف، وهذا ما استقر عليه رأي مشهور فقهاء الإمامية، بل يكاد يكون شبه إجماع بين محققي الطائفة. وقد أشار المرحوم الوالد (رحمه الله) في كتابه "متى جمع القرآن" إلى إجمال هذا الموقف الراسخ بأن المصحف الشريف الذي بأيدينا لا يعتريه أي زيادة أو نقيصة في حروفه وكلماته.

أما ما ورد في بعض الروايات مما قد يُشعر بوجود نص مختلف أو قراءات أخرى، فإن ذلك لا يتعلق بأصل النص القرآني المحفوظ، وإنما يرجع إلى تنزيل التفسير أو تنزيل التأويل. ومن مصاديق ذلك ما جاء من تفسير وتأويل لبعض الآيات الكريمة، وليس المقصود منه المساس باللفظ القرآني المعجز.

وتكفي هذه الحقيقة شهادة من الله تعالى إذ يقول: ﴿**وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾.[21] ويقول جل ذكره: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[22] فالزيادة والنقصان ضرب من الباطل، والباطل منفي عن هذا الكتاب العزيز بحكم النص القطعي.

ويزداد الأمر وضوحاً بالرجوع إلى قول الإمام الجواد (صلوات الله وسلامه عليه) حيث يقول: **"وكل أمة قد رفع الله عنهم علم الكتاب حين نبذوه، وولاهم عدوهم حين تولوه، وكان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه وحرفوا حدوده، فهم يروونه ولا يرعونه، والجهال يعجبهم حفظهم للرواية والعلماء يحزنهم تركهم للرعاية..."**[23]. فالإمام يبين لنا أن التحريف الذي وقع إنما هو تحريف في المعاني والأحكام والحدود الإلهية لا في الألفاظ والبنية النصية؛ فهم حافظوا على رسم الحروف والكلمات كما هي، ولكنهم حادوا عن تفسيرها الصحيح وتأويلها الحق. فاللفظ محفوظ ومُقام، وأما المعنى والتطبيق فهو موضع التحريف.

وبناءً على ما تقدم، فإن سلامة النص القرآني من أي زيادة أو نقصان تعد عقيدة راسخة، وأي قول بخلاف ذلك لا يستند إلى دليل معتبر، بل يرده الكتاب نفسه والروايات الصحيحة عن أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام).

---

[21] - سورة فصلت: 41-42

[22] - سورة الحجر: ٩

[23] - بحار الأنوار: ج٧٥ ص٣٥٩ ب٢٧ ح٢

من إعجاز القرآن

عن هشام بن الحكم قال: اجتمع ابن أبي العوجاء، وأبو شاكر الديصاني الزنديق، وعبد الملك البصري، وابن المقفع، عند بيت الله الحرام، يستهزؤن بالحاج ويطعنون بالقرآن.

فقال ابن أبي العوجاء: تعالوا ننقض كل واحد منا ربع القرآن، وميعادنا من قابل في هذا الموضع، نجتمع فيه وقد نقضنا القرآن كله، فإن في نقض القرآن إبطال نبوة محمد، وفي إبطال نبوته إبطال الإسلام، وإثبات ما نحن فيه، فاتفقوا على ذلك وافترقوا، فلما كان من قابل اجتمعوا عند بيت الله الحرام، فقال ابن أبي العوجاء:

أما أنا فمفكر منذ افترقنا في هذه الآية: ﴿**فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا**﴾[24] فما أقدر أن أضم إليها في فصاحتها وجميع معانيها شيئا، فشغلتني هذه الآية عن التفكر في ما سواها.

فقال عبد الملك: وأنا منذر فارقتكم مفكر في هذه الآية ﴿**يا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّـهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً وَ لَوِ**

[24] - سورة يوسف: ٨٠

اجْتَمَعُوا لَهُ وَ إِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَ الْمَطْلُوبُ﴾ ([25]) ولم أقدر على الإتيان بمثلها.

فقال أبو شاكر: وأنا منذ فارقتكم مفكر في هذه الآية: ﴿**لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّـهُ لَفَسَدَتا**﴾ ([26]) لم أقدر على الإتيان بمثلها.

فقال ابن المقفع: يا قوم إن هذا القرآن ليس من جنس كلام البشر، وأنا منذ فارقتكم مفكر في هذه الآية: ﴿**وَقِيلَ يا أَرْضُ ابْلَعِي ماءَكِ وَيا سَماءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْماءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾([27]) لم أبلغ غاية المعرفة بها، ولم أقدر على الإتيان بمثلها.

قال هشام بن الحكم: فبينما هم في ذلك، إذ مر بهم جعفر بن محمد الصادق(عليه السلام)فقال: ﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً**﴾[28] فنظر القوم بعضهم إلى بعض وقالوا:

لئن كان للإسلام حقيقة لما انتهت أمر وصية محمد إلا إلى جعفر بن محمد، والله ما رأيناه قط إلا هبناه واقشعرت جلودنا لهيبته، ثم تفرقوا مقرين بالعجز.([29])

---

[25] - سورة الحج: 73
[26] - سورة الأنبياء: ٢٤
[27] - سورة هود: ٤٤
[28] - سورة الإسراء: ٨٨
[29] - الاحتجاج ج٢ ص ١٢٣

كيف نعمل بالقرآن؟

ثمة سؤال جوهري يتردد على ألسنة الكثيرين ممن يتلون كتاب الله عز وجل: كيف نعمل بالقرآن؟ وكيف ننتقل به من حدود التلاوة اللفظية إلى فضاء التطبيق العملي؟

أن السبيل إلى ذلك يكمن في خطوات متدرجة: أولها أن تتأمل في معاني الآيات حال تلاوتها، وترجع إلى كتب التفسير الموثوقة لفهم مراد الله تعالى منها، ثم تنتقل إلى مرحلة التدبر العميق الذي يحاول فيه القارئ ربط الآية الكريمة بحياته اليومية وواقعه المعاش. وليس المقصود من هذا الربط تفسيراً جديداً للآية، بل هو استلهام للهداية القرآنية واستيحاء لعظاتها في شؤون الحياة.

ولتوضيح هذه المنهجية أضرب لكم مثالين اثنين:

المثال الأول: الاقتداء بالأسوة الحسنة

حينما يقرأ المؤمن قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾[30]، ثم يتلو في موضع آخر قوله تعالى في مدح النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله

[30] - سورة الأحزاب: 21

وسلم): ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[31] ، فإن العقل والقلب يتوجهان فوراً إلى الربط بين هاتين الآيتين الكريمتين.

فالآية الأولى تأمر بالتأسي، والثانية تصف الخُلق الذي ينبغي التأسي به.

ومن هنا يشرع القارئ في محاولة عملية جادة لتتبع أخلاق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والتخلق بها في تعامله مع أهله وجيرانه والناس أجمعين. وهكذا تتحول التلاوة من مجرد قراءة إلى برنامج سلوكي عملي.

المثال الثاني: رفض الأفول واستلهام العبرة من قصة إبراهيم (عليه السلام)

قد تمر بنا آيات تبدو للوهلة الأولى بعيدة الصلة عن واقعنا اليومي، ولكن بتدبر بسيط يمكن استيحاء معانٍ جليلة منها.

تأمل مثلاً في قصة نبي الله إبراهيم (على نبينا وآله وعليه الصلاة والسلام) حين قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَباً قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ**﴾.[32]

كيف نربط هذه الآية بحياتنا؟ إننا نستلهم منها - على سبيل التدبر لا التفسير – موقفاً واضحاً من زخارف الدنيا ومظاهرها البراقة. فالكوكب كان جميلاً

[31] - سورة القلم: 4
[32] - سورة الأنعام: 76

لامعاً، والناس من حول إبراهيم كانوا يتخذونه إلهاً ويعبدونه. ولكن إبراهيم الخليل بعقله المتوقد ونظرته الثاقبة رفض هذا الإله الزائل الذي سرعان ما يأفل ويغيب ويستتر. لقد أعلنها صريحة: ﴿**لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ**﴾[33]، أي لا أحب ما يزول وينتهي ولا يدوم.

وهنا يكون الاستلهام لحياتنا المعاصرة: لماذا أتعلق بالدنيا الفانية حباً ذاتياً؟ إن زخارف الحياة الدنيا - مهما كبرت – هي كالكوكب الآفل، تشرق اليوم وتغيب غداً. وقد حذرنا القرآن من هذا التعلق بقوله: ﴿**مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ**﴾.[34] فعلينا أن لا نجعل الدنيا غاية في ذاتها، بل نتخذها قنطرة نعبر عليها إلى رضوان الله تعالى، مصداقاً للقول النبي عيسى (عليه السلام): **"الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها"**.[35]

فلنستشعر وننرد في قلوبنا الآية الكريمة ﴿**لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ**﴾ ، فلا نحب ما يزول ويفنى، ولنركز همنا على الباقي الذي لا يفنى، طمعاً في رحمة الله تعالى ورضوانه.

---

[33] - سورة الأنعام 76

[34] - سورة النحل: 96

[35] - بحار الأنوار: ج١٤ ص٣١٩ ب٢١ ح٢٠ عن الخصال

النسيج الفريد للقرآن الكريم

للوهلة الأولى، قد يبدو للقارئ أن موضوعات سور القرآن الكريم، متشتتة ومتنوعة لا يربطها رابط ظاهر. فترى آية في صلب العقيدة، تليها قصة من قصص الأقوام السابقين، ثم تنتقل إلى وصف مشهد من مشاهد الآخرة، ثم إلى موعظة في الأخلاق والمعاملة. هذه الخصوصية ليست نقطة ضعف، بل هي من أبرز وجوه إعجاز القرآن وجاذبيته الخالدة.

فلو أن القرآن الكريم جُمعت فيه آيات التوحيد في فصل، وآيات الأخلاق في فصل آخر، لصار كأي كتاب مؤلَّف بشري، تقرأه مرة أو مرتين ثم تفتر رغبتك فيه. ولكن التصميم الإلهي للقرآن الحكيم جعله بحيث أن من يبحث عن آية في التوحيد يجد بجانبها موعظة وقصة، فيستلهم معارف متعددة الجوانب أثناء بحثه عن موضوع واحد. هذا الأسلوب هو سر من أسرار عظمة القرآن.

وقد ذكر أحد العلماء المحققين أنه كان يتعجب من قدرة خطيبين عظيمين في العالم، أحدهما في الغرب والآخر من المسلمين، يستمع إليهما عشرات الآلاف بإنصات وولَه لساعات طوال. وبعد تتبع أسلوبهما، وجد أنهما يستخدمان الأسلوب القرآني نفسه: التنقل بين موضوعات متعددة تبدو مشتتة، ولكنها في الحقيقة ترمز كلها إلى هدف واحد، وتجمعها خيوط غير مرئية لتوصل فكرة مركزية إلى ذهن المستمع من حيث لا يشعر. وهذا حال سور القرآن، فهي كحبات السبحة المتناثرة التي يجمعها خيط واحد.

التحذير من التفسير بالرأي

القرآن الكريم هو كتاب هداية، أنزله الله تعالى ليكون نوراً ودستوراً للبشرية جمعاء. إلا أن الوصول إلى معانيه السامية وهدايته القويمة ليس بالأمر الذي يُترك للأهواء أو الآراء الشخصية، بل له أصول وقواعد يجب الالتزام بها. ومن هنا، يأتي التحذير الشديد من 'التفسير بالرأي'، وهو أن يقول الإنسان في معنى القرآن بغير علم، معتمداً على مجرد ظنه وهواه.

هذا الميزان لم تعتمده النصوص وحدها، بل أكدته وصايا النبي وأهل بيته (عليهم السلام) وهم المفسرون الحقيقيون للكتاب.

فقد حذّر النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) أمته من التفسير بالرأي تحذيراً شديداً، فقال: ..**ومن فسّر القرآن برأيه فقد افترى على الله الكذب.**[36]

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): **إنما أتخوف على أمتي من بعدي ثلاث خلال: أن يتأوّلوا القرآن على غير تأويله، أو يتّبعوا زلة العالم أو يظهر فيهم المال حتى يطغوا ويبطروا، وسأنبئكم المخرج من ذلك: أما القرآن فأعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه، وأما العالم فانتظروا فيئته ولا تتبعوا زلته، وأما المال فإن المخرج منه شكر النعمة وأداء حقه.**[37]

ويزداد هذا التحذير قوة ووضوحاً في كلمات أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، وهم عِدل القرآن والمرجع الأعلى لفهم معانيه. فعن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) عن الله جل جلاله: **ما آمن بي من فسّر برأيه**

[36] - وسائل الشيعة 27 : 190 ، كتاب القضاء ، أبواب صفات القاضي ، الباب 13 ، الحديث 37.
[37] - بحار الأنوار: ج٨٩ ص١٠٨ ب١٠ ح٥.

كلامي.([38])، وفي مقام آخر يوجّه نصحه قائلاً: **فإياك أن تفسّر القرآن برأيك حتى تفقهه عن العلماء.**([39]) ويؤكد الإمام الباقر (عليه السلام) على عظمة القرآن وصعوبة بلوغ أعماقه بالعقول المجردة، فيقول لجابر في حديث: **ياجابر وليس شيءٌ أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن.**([40])

أما الإمام الصادق (عليه السلام)، فيُبيّن حقيقةً خطيرةً مفادها أن صحة النتيجة لا تبرر الوسيلة، فيقول: **من فسر القرآن برأيه فأصاب لم يؤجر فإن أخطأ كان إثمه عليه.**([41]) ويوضح الإمام الرضا (عليه السلام) أن تأويل القرآن يجب أن يُستقى من منبعه الصافي، مستشهداً بقوله تعالى: ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**﴾ (آل عمران: 7)، إشارةً إلى أن المعرفة الحقيقية بتأويل القرآن هي من اختصاص الله والراسخين في العلم من أهل البيت (عليهم السلام).

إن هذا السيل من الأحاديث والروايات يضع أمامنا مسؤولية عظيمة، وهي أن نتلقى تفسير كلام الله تعالى من مناهله الصافية، وهم النبي وأهل بيته الأطهار(عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام)، واتباع ما ورد عنهم، والرجوع إلى أقوال العلماء الثقات، والحذر كل الحذر من الخوض في معاني القرآن بآرائنا وأهوائنا الشخصية. إن فهم كتاب الله تعالى مسؤولية جسيمة، تستوجب علينا الورع والتقوى والتسليم لأهله.

[38] - وسائل الشيعة 27 : 186 ، كتاب القضاء ، أبواب صفات القاضي ، الباب 13 ، الحديث 28.
[39] - التوحيد: ص٢٦٤ ب٣٦ ح٥.
[40] - تفسير العياشي: ج1 ص87، الحديث: 39
[41] - جامع الأخبار: ص٤٩ الفصل الثالث والعشرون في القراءة.

أهل البيت (عليهم السلام) الورثة الحقيقيون لعلم الكتاب

لقد خصّ الله تعالى أهل البيت (عليهم السلام) بعلم القرآن، فهم الذين أشارت إليهم الآية الكريمة: ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا**﴾ ([42]). يقول الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) في تفسيرها: **"فنحن الذين اصطفانا الله عز وجل، وأورثنا هذا الذي فيه تبيان كل شيء"**.([43]) وتؤكد الروايات الشريفة على إحاطتهم التامة بالقرآن الكريم علماً وفهماً. فعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: **والله ما نزلت آية إلاّ وقد علمت فيم نزلت وأين نزلت... إنّ ربّي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً سؤولاً.**

وعنه (عليه السلام) قال: **سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني عن كتاب الله، فما من آية إلاّ وأعلم حيث نزلت بحضيض جبل أو سهل أرض.**([44]) ويبلغ الإمام الصادق (عليه السلام) الذروة في بيان هذه الحقيقة بقسمه: **"والله إني لأعلم كتاب الله من أوله إلى آخره كأنه في كفي".**([45]) وهو تعبير يشير إلى إحاطتهم الكاملة والشاملة بكل ما في القرآن من خبر السماء والأرض، وخبر ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة. فهذا هو مقتضى كون القرآن "تبياناً لكل شيء" كما قال تعالى: ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ**﴾([46])، وهم الوعاء الذي اختاره الله لهذا العلم، كما قال سبحانه عنهم: ﴿**بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ**﴾ ([47])، وهم الأئمة (عليهم السلام) خاصة.

---

[42] - سورة فاطر: 32
[43] - أصول الكافي: ج١، ص ٢٢٦، ح٧.
[44] - المناقب: ج٢، ص ٤٣؛ الإتقان في علوم القرآن: ج٢، ص ١٢٢٧.
[45] - بحار الأنوار: ج٤٠ ص ١٩٠، ح٧٤.
[46] - سورة النحل: 89
[47] - سورة العنكبوت: 49

لماذا لم تصلنا كل العلوم؟

قد يتبادر إلى الذهن سؤال: إذا كان القرآن يحوي كل شيء، وكان علم أهل البيت (عليهم السلام) به محيطاً إحاطة كاملة كما بالكف، فلماذا لم يصل إلينا من تلك العلوم الإلهية واللدنية إلا النزر اليسير، أو "صبابة كصبابة الإناء"؟

للإجابة على هذا السؤال وجوه متعددة، نذكر أهمها:

1 - **عدم وجود الأوعية المستوعِبة (القابلية):** لم يجد الأئمة المعصومون (عليهم السلام) في الأمة الأوعية التي تتحمل تلك العلوم الدقيقة والأسرار العميقة. فالمناخ الفكري والاجتماعي في تلك العصور لم يكن مهيأً لاستقبالها. وقد أشار أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى ذلك بقوله وهو يضرب بيده على صدره الشريف: "إن هاهنا لعلوماً جمة، لو أصبت لها حملة". وحتى أولئك الأفراد القلائل الذين ارتقوا إلى مستوى حمل بعض العلم، لم يكونوا قادرين على استيعاب كل ما لديه (عليه السلام)، ولذلك كان يضطر أحياناً إلى التوجه إلى البئر ليفضي بأسراره.

2 - **كتمان الخواص للعلوم:** القلة التي استطاعت أن تحمل شيئاً من تلك العلوم، اضطروا بدورهم إلى كتمانها. فقد كانوا يخشون على أنفسهم من بطش السلطات، أو يدركون أن المجتمع لا يتحمل تلك المعارف، فاندثرت بموتهم. وما يُروى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) من أنه فسّر لابن عباس

"باء" البسملة من ليلة حتى بزوغ الفجر لهو دليل على السعة المذهلة للعلم، ودليل في الوقت نفسه على ضيق الأوعية وعدم انتشار هذا العلم.

3 - **إتلاف التراث العلمي عبر التاريخ:** تعرض تراث أهل البيت (عليهم السلام) العلمي لحملات ممنهجة من الإتلاف والحرق على أيدي الحكام الظالمين على مر التاريخ. فقد أُحرقت مكتبات بأكملها، وأُلقيت مئات الآلاف من الكتب في الأنهار حتى تحول لون ماء دجلة إلى السواد.

ويكفي مثالاً واحداً على هذه الفاجعة أن تفسير الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) الذي كان يقع في أكثر من مئة مجلد لم يصلنا منه إلا جزء واحد. وهكذا ضاع ذلك الكنز العظيم من المعارف الإلهية.

مظاهر التعامل مع القرآن وحقيقة العمل به

إن من يبتغي لنفسه حياة كريمة خالصة من زيغ الشبهات وظلام الحيرة، فعليه أن يتجه صوب القرآن الكريم فهماً وتدبراً، ليجعله إماماً له في سلوكه ومنهاجاً في حياته. فالقرآن الكريم ليس مجرد كتاب تلاوة وبركة، بل هو دستور إلهي متكامل يرسم للإنسان منهجاً شاملاً في كافة أبعاد وجوده، من أدق شؤونه الفردية إلى أعظم قضاياه المصيرية.

ولكن السؤال الذي يفرض نفسه: كيف كان تعامل المسلمين - على وجه العموم – مع هذا الكتاب العزيز؟

إن الناظر في واقع الحال يجد أن التعامل الغالب قد انحصر في إطار المظاهر والقشور، دون أن ينفذ إلى جوهر العمل والامتثال. فقد أولي الاهتمام الأكبر لجوانب شكلية لا غبار على أهميتها وحسنها، ولكنها ليست الغاية المنشودة بذاتها.

ففي أحسن صور التعامل الظاهري نجد أن الجهود قد بُذلت في طباعة القرآن بأبهى الحلل وأفخم التجليدات، وتوزيع ملايين النسخ في الآفاق، ووضع المصاحف في صدر كل مسجد في أطهر البقاع وأشرفها. كما تُليت آياته آناء الليل وأطراف النهار، وارتفعت أصوات القرّاء به في شهر رمضان وفي المحافل وعند الموتى. ثم تطورت العناية لتشمل ترجمة معانيه إلى شتى لغات

العالم، وتنظيم حلقات تحفيظه للصغار والكبار، حتى صار ملايين الحفاظ يحملون نصه في صدورهم.

ولا ريب أن كل هذه المظاهر - من طباعة وتوزيع وتلاوة وترجمة وحفظ - أمور مطلوبة في نفسها، وهي خطوات جليلة تؤجر عليها الأمة.

ولكن الخلل يكمن في الوقوف عندها على أنها نهاية المطاف وغاية المراد. إن الغاية التي يريدها القرآن منا ليست أن نضعه على الرفوف فحسب، ولا أن نملأ به المسامع فقط، بل أن نُنزله إلى ميدان الحياة والعمل.

فالنتيجة المطلوبة التي لأجلها أُنزل الكتاب هي أن يتحول النص المقروء إلى واقع معاش، وأن يجد حكم الله تعالى طريقه إلى سلوك العباد في البيت والسوق والمجتمع والدولة. فمتى ننتقل بالقرآن من مرحلة تحريك اللسان إلى مرحلة تحريك الجنان والأركان؟

دور القصص في القرآن وأثرها في تربية الإنسان

لقد أولى القرآن الكريم عناية بالغة بأسلوب القصص، فجاءت كثير من آياته تحكي قصص الأنبياء والأمم السابقة. يقول الله تبارك وتعالى: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ**﴾.([48]) ويأمر نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) في آية أخرى قائلاً: ﴿**فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾.([49])

والسر في هذا التركيز القرآني على القصة يكمن في طبيعة النفس البشرية؛ فالإنسان بفطرته يميل إلى سماع القصص ويتفاعل مع أحداثها أكثر من تفاعله مع أي أسلوب آخر. وسواء كان المخاطب صغيراً أم كبيراً، رجلاً أم امرأة، متعلماً أم غير متعلم، فإن القصة تمتلك قدرة فائقة على جذب انتباهه والتأثير في وجدانه.

ومن هنا، فإن أسلوب القصة يعد من أنجح الوسائل التربوية وأكثرها فاعلية. فالآباء والأمهات الذين يبتغون تربية أبنائهم تربية صالحة، عليهم أن يجعلوا من القصص الهادفة وسيلة أساسية في بناء شخصياتهم. ولكن ينبغي مراعاة أن تُعرض القصة على الطفل بطريقة تناسب عقله وإدراكه، وعلى الشاب

[48] - سورة يوسف: 3
[49] - سورة الأعراف: 176

بأسلوب يتناسب مع مداركه وتطلعاته. كما أن نقل التجارب الشخصية من الوالدين إلى الأبناء يعد من أكثر المؤثرات عمقاً في نفوسهم.

فعقل الطفل صفحة بيضاء، وهو مهيأ لاستقبال أي محتوى. فإن لم يبادر الوالدان بملء هذا الفراغ بالقصص المفيد والتوجيهات النافعة، فسوف تجد قنوات التلفزيون، وبرامج الهواتف، وأصدقاء الشارع طريقها إلى ذلك الذهن الخصب. فإن ملأت هذا الإناء بالماء الطيب، لم يبق فيه متسع للماء الآسن. فالواجب أن يسبق الوالدان غيرهما إلى تشكيل وعي الطفل وملء ذاكرته بالسيرة العطرة.

ويمكن للوالدين تنويع منابع القصص بحسب مراحل العمر؛ فالصغار يُقص عليهم من الحكايات المفيدة على قدر فهمهم وشعورهم، وأما الكبار واليافعون فتُعرض عليهم قصص الأمم السابقة، وسير المعصومين (عليهم أفضل الصلاة والسلام)، وأخبار الأنبياء(عليهم السلام)، ومواقف العلماء العاملين والصالحين، وقصص المخترعين والمكتشفين الذين كافحوا وصبروا حتى بلغوا ما بلغوا من مراتب التقدم. وهذا هو المنهج الذي انتهجه القرآن الكريم، فهو كتاب هداية خاطب البشرية جمعاء، على اختلاف فئاتهم وأعمارهم وثقافاتهم، وضمن قصصه أبلغ المواعظ وأعظم الحكم.

واللافت في منهج القرآن الكريم أنه لا يقص كل شيء، بل ينتقي ما فيه فائدة حقيقية. قال تعالى: ﴿**كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ**﴾.([50]) إن كلمة "من" هنا للتبعيض، فهي تشير إلى أن أخبار الأمم الخالية وحوادثها كثيرة جداً، ولكن القرآن لا يذكر منها إلا النافع المفيد الذي يبني العقول ويهذب النفوس. فالغالبية العظمى من تفاصيل التاريخ ولغو الحديث لا فائدة من نقلها، فلا تأثير لها في واقعنا ولا علاقة لها بهدايتنا.

ولو تأملنا حال الكتب القصصية المتداولة اليوم، بل وحتى المسلسلات والأفلام، لوجدنا أن كثيراً منها مشحون بالحشو واللغو الذي لا طائل من ورائه. قد تجد فيها نسبة ضئيلة من العبرة، ولكن الغالب هو الإطالة والإسهاب في غير فائدة. أما القرآن الكريم، فهو الميزان الدقيق الذي يركز على نقل القصص المفيدة النافعة الخالية من كل زيادة لا تنفع، ليظل كتاب هداية يبني الإنسان ويسمو بروحه وعقله.

[50] - سورة طه: 99

وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

ولعن الله أعدائهم أجمعين